

أختامٌ صوفيّةٌ

أحمد العجمي

شعر

أختام صوفية

شعر

أحمد العجمي

أختام صوفية

شعر

كتاب رقمي

لوحة الغلاف: أحمد العجمي

إصدار عام: 2019

الانستجرام: Poet.ahmad.alajmi

فيسبوك: Ahmed Alajmi

تويتر: Ahmed Alajmi@AhmedAlajmi2

الموقع: www.poetrytoon.weebly.com

إشارة

من أهم ما تركته الصوفية ثقافياً وفنياً هو لغتها (كلامها)؛ هذا الكلام الرمزي والمجازي الذي يغرف من معجم خاص به، ومن رؤية روحية استبصارية وليست عقلية برهانية. ومن هنا صار الكلام الصوفي كلاماً مجاوراً للشعر بما يحمله من غموض فني، ومن نظام استعاري ودلالي خاص به وبتمثله الثقافي. فالكلمة في المعجم الصوفي تحمل دلالتها وظلالها الخاصة.

وهذا الكلام يذهب في نصوصه إلى رؤية ومعرفة اللامرئي معرفة حدسية عبر مجاهدات عرفانية تكشف لهم مرادهم وتجلي صورته. وهنا تتداخل بعض أطياف الصوفية مع بعض أطياف السوربالية في إبعاد الوعي عن التجربة، ويظهر هذا التماس في الارتحال لداخل الذات وليس لخارجها، وفي اللاوعي.

ولعل هذا الإنزياح الكبير في الكلام وأنساقه ودلالاته وذائقته البعيدة عن ما هو مستقر في الثقافة والأدب، هو ما ولد فكرة أنّ لقصيدة النثر جذوراً ونزعات في الكلام الصوفي الفني.

وفي هذا الديوان (أختام صوفية) لا تذهب بنا صوفيته الأسلوبية إلى
المعتقد أو الطريقة أو إلى اللغة المنبثقة من التجربة الروحانية لها. وإنما يحاول
الكلام الشعري هنا أن يستثمر طاقة الكلام الصوفي وطريقة بنائه لنصه،
بالذهاب والبحث من الأعماق عن اللامرئي داخل الروح والقلب بعيداً عن
السماء، وإنما في تجربة الإنسان مع وجوده الإنساني وليس العرفاني والإيماني.

أحمد العجمي

يا حبّ

يا موزّع الجمال وأنغامه

بالتساوي

على الوجود واللاوجود،

اسكب نيرانك

في جوفي

وثقّب قلبي بجمرك،

ثم قدني

معصوب العينين

إلى تختك ومراياك،

وهناك،

أرني عجائبك

يا أجمل

ما لم أر!

عُزِفَتِ الموسِيقى

منذ الأزل،

وها أنذا أسمع صفاءها،

أيُّها الحُبُّ

كم أنت عادل،

حتى أذني الصماء

نالت نصيبها

من البهجة.

ها أنذا

في هيامي، بدون قناع

ولا جلبة،

أراك بصورة أجهى

أيها الحبّ،

أراك وأنت تخلق

الوردة

والصمت

وهما يتسمان

في مياهي.

هناك أراك،

هنا أجدك،

تتجمّع حولك

الرؤى المتعدّدة،

وتحملك كلمات ناضجة

على أكتافها،

ما أروع الحبّ

حين تتحرّر

قدماه

من التابوهات.

زارني في الموسيقى

المتجهة إلى بستان المعرفة،

وهمس في أذني:

أيها الإنسان المختبئ

في سديم ذاتك،

اسكب الجمالَ

في أكواب الحبّ،

وستلاحظ

أنه يذوب

ويتفايض فيك.

إذا كنتَ تريد

رؤية العالم

الذي بداخلك

وتتكلّم معه،

تمدّد على

سرير الحب،

واجلسْ على

كرسي الجمال،

وستشعر أنّ

جسدك

صار مصباحاً

مُعلّقاً

في سقف الكون.

من السهل على ظلك

أن يطاردك بلسانه

وعينه،

ويهددك بسرقة طاقتك،

ولكن

وقتما تستطيع

جعل الحبّ

شراعاً لقاربك،

فسوف تبهر

في جميع الغيوم

والألحان الإنسانية،

بسلام،

وتنال زهرة خلودك.

إذا دعاك الشوق

إلى أحضانه،

وإلى زهرة خشخاشه،

اغمض عينيك

عن الكدر،

وعن الكلمات المصطنعة،

فلا توجد مرآة
أصفى من الحبّ،
قف أمامه لترى
كم أنت جميل
ومطمئن!

تعلّم الإنصات للنور،

لمن يراك وردة

في هذه الصحراء،

من يثق في الحبّ

وينصت له،

سيراه في روجه

كفراشة

ترفرف حول النار،

ولن تكون له

حاجة، أبداً،

لمصباح في يده.

أنا أرقص
من أجل الحقيقة،
وأغني ليفرح الجمال،
هذا دربي، وأنا أمضي فيه،
نظرة صغيرة
في أعماقك،
وينكشف لي العالم،

ومن صوتك
يا نهر الحبّ
تتجلى الحقيقة
والعدالة، معاً،
كذراعي ميزان
لإبداعك المستمر.

لا يُسمعُ

كل ما يقال،

أنا لا شيء

بدون

الربيع المسكر

وبدون

نعمة الناي،

كيف أبحث عنك

يا زهرة النرجس

وأنت هنا

ترتوين من أنهارى،

وبعدوبة صوتي

تتكلمين

عن الخلود الأبدى

في بساتين الحبّ!

وقت الاتحاد بك

لا حاجة لي

بقراءة كتاب مقدس،

في عزلي

أسمع موسيقى

الأضواء العاشقة،

وأحس بأثما

تعلمني كل شيء

عن الرقص الأنقى

مع الحريرة.

في السّر

والعلن

تتمايل أغصان العقل

بفضل نسيم

الحبّ،

ورقة غنائه،

ومن تمايلها

تُرسَمُ ظلالُ

على القلب الذي

تَهطل منه

أمطار موسيقية

تمحو الغضب

من الغابة.

أقول للشمس

هذا جسدي، فأدخليه،

وأقول للجمال

هذه روحي

فاحرقها،

الآلام القويّة

التي تجعلني أتلوى

ما هي إلاّ تقلصات

الحبّ،

وهو يجري مترنماً

في الشرايين.

الأحلام وحدها
لا تكفي للارتفاع،
الآلام والأحزان
لا تخفي
ملامحها،

أجنحة كبيرة

وقوية

من الحبّ والحريّة،

أحتاجها في سفري

إلى سماء

داخل العقل.

بسبب الأنغام المتعدّدة

للحبّ،

يصعب عليّ

سماع صوت

النجمة التي

في قلبي،

ويصعب رؤية

كلماتها المعبّرة

عن شغف الحلم

ولذة الطريق،

ما لم تتمزق كل الحُجب

التي نسجتها

أصداء الخوف.

يا جسدي الغني

تأمل في مصادر غناك

وارحل للإقامة فيها،

اجعل من كلامك

وصمتك

حديقة للحبّ،

ومن هدوءك

شجرة كبيرة لنعمات

البهجة،

ولا تجعل الظلام

بجباله

يقيد رجلك اللتين

ترقصان في بيت الوردة.

أنظروا ماذا يفعل

الليل بنجومه!

ألا يبرز مفاتها

ورجاحة تفكيرها؟

فالمبصر بالحب

يرى البحار

التي في داخله،

ويستطيع احتضان

الآلئ،

حتى في أشد

الأعماق برودة.

لا تحاول مدح الموت

بطريقة قتل الجمال،

فكر ملياً في ظل الطائر

المنعكس على وجه القمر،

وحين تسأل

عن الأبحان

التي لا تتعفن،

إِنَّهَا موجودة، فقط،

حين تجعل

من عقلك آلة موسيقية

لها أوتار

تسطع كالشمس.

الأضواء لا تأكل بعضها،

وليس من الحكمة

الاختباء خلف

كلمات مريضة،

حتى في الليل الكسيح

هناك أضواء تمرح،

والحان غير مبهمة،

فلا تترك فرصة

دون أن تجعلها

تتفتح في

البيت الذي

بنيته من عالمك

الريعي.

النزاهة لا تنبت

كالعشب،

إذا كنت عاشقاً،

فلماذا تحمل قنديلاً

من كهرباء؟

ألم يكن قلبك يكفي

لإزاحة الظلام

عن الخفقان العظيم،

عن شمعة تَوَاقَة

للعدالة والغناء؟

انصت يا صديقي،

إذا لم تسمع شيئاً

فإنّ لمعان الإنصات،

وحده،

يكفي ليكون

موجة كبيرة

تنقلك إلى هب

الأزهار

الذي يدفع العقل

ويُشبعه

بالعشق.

عبر المطر

تكلم بصمتك،

فلمست في حاجة،

بعد الآن،

إلى لسان منشغل

بآذان الناس،

براعم العقل

تنمو بشكل أفضل،

وأسرع،

حين

ترتوي بلغة العشق.

أريدُ صعودَ الجبال

وعبورَ الفيافي

التي تسكنني،

ولكن كيف

أنجح في مساعي

إذا لم أدرب عقلي

على أن يصبح

قمرًا وشمسًا

في ذات اللحظة؟!!

إذا لم آتخذ الفَنَاء

نغمة

تزيل اللبس

عن ضبابي العجوز؟!!

طريقي طويلة،

أطول من

شهوة التسلّط،

وسلسلة العذاب

وعرة،

ومتعرجة،

لكي

وبدون أن أخطو

خطوة واحدة

أستطيع قطعها

بسلام،

إذا عرفت

مساحة الشمس

التي تنظف قلبي.

جميعهم يذكرون عطرك

ويفيضون في أوصافك

وكأنّك سرّ مكشوف،

لكن لا أحد

يتجرأ على قول كلمة عنك

تشبع الفضول

وقتما تشطر قلبه

ببرقك،

يا من جَبَّته من

حرير الحرية

وعمامته من

صوف العدل

ومسبحته جمال مطلق،

أيّها الحبّ

يا محبوبي .

سيّدي،

أينما تركز علامة

لا تأتي الظلمة إليها،

فالحياة لا تعرف غيرك

من هو قادر

على جلب الربيع،

ولا أحد يستطيع

طرد الخوف

من أعماق القلب

سواك،

فمهابتك أيها الحب

تروي الأمكنة

والأزمنة.

يا حبّ،

يا من يلهج لساني

باسمك، في البر والبحر،

في الغياب والظهور،

شغفي أن تمسّ

جسدي ببرقك،

وتغرس في قلبي

كل أصناف زهور الحرية،

وتدفن في رثي

العدالة وأنوارها،

وتغمر أحشائي

بمياه الجمال المنعشة

لأكون حديقة للمؤمنين

بك.

أَيُّهَا الْكَائِنُ،

أَنْتَ الَّذِي لَا تَنْظُرُ

إِلَى ذَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَالْعَمِيقَةِ،

وَالَّتِي لَا شَمْسَ فِيهَا غَيْرَ قَلْبِكَ،

هَلْ جَرَّبْتَ مِذَاقَ الْحَرِيَّةِ

الْمُسْتَيْقِظَةِ

بِعَقْلِكَ الْمُسْتَيْقِظِ؟

هَلْ لَمَسْتَ وَهْجَهَا

بَرِيْشَةِ رُوحِكَ؟

فحتى تنال قطرة ماء

ترويك أبد الدهر،

وَتُريك نورها

المعطي لكل الأشكال

والحدود،

عليك أن تطرق بابها اللانهائي

كعاشق لا يريد الشفاء.

قل لي أيها الميصر بعقله،

هل هناك

ما هو أجمل

وأعذب

من صوت الطمأنينة؟

ها أنذا أسألك،

وأنا أحاول الدخول

للحياة

من باب الحرية الكبير

الذي ينفتح

على الكون الجميل

في أعماق كينونتي.

في المنام

قال لي:

لا تنشغل بما يصدر

الضحيج

ويقلق الضوء،

قد يبدو الحبّ

محبوباً، مطموساً،

لكن لو اغتسلت

بالموسيقى التي

تعزفها نجومك البعيدة،

لما تساءلت يوماً

أين يلعب الحب؟

إذا أردت أن تُبصر
الأشياء التي لا تُبصر،
كالحبّ،
والطمأنينة،
والجمال،
فألقِ بجسدك في النهر
الذي ينبع
من جبال عقلك،
ويصبّ
في سهول قلبك.

أصداء طبول الحب

تتجول في الآفاق،

في الجمادات

والأحياء،

لكن غير متاح

لأيّ أذن سماعها

مادامت تتدمّر

من الحرية

ومن شمس الجمال،

وتحمل هالة الشمعة

الموجودة

على رغيف القلب.

الرجل والمرأة

يبحثان عنك في مرآتهما،

يأملان أن يحملك النسيم

إلى أعينهما،

ليشاهداك،

ويعتزجا في طراوتك،

بقلي عرفتُ أنّ لكّ نعماً

أعذب من حرارة القنديل،

وأنّ جناحيك عظيمان

يغطيان مجمل الكون،

ولا يمكن لأحد أن

يُبصر روحك،

ما لم يُرطّب عقله

بسماء الحبّ المزهر.

لأنيّ مريض بك،

كتبت اسمك

بماء الزعفران

ثم شربته مع ضوئك،

لأفك الطلاسم

وأهدم الأسوار

الحائلة بين

وصولي إليك

والمبيت في ضيافتك،

وحين تذوقت صوتك

من الرشفة الأولى

شعرت أنّي أنت،

وأنتك أنا،

واهتزت أوتاري

بسعادة

أيّها الحبّ الشهي.

من أجل الحبّ

تتفتح الحرّيّة،

ومن أجل الحرّيّة

تتفتح الأزهار،

فيا جسدي

الغائص في البحار

السبعة، التي

لا حدود لأمواجها،

لا ترهن روحك

لغير الجمال،

وتفتّح كنجوم كثيرة

نغماتها أصفى

من نبيذ الشمس،

تُطرب كل أذن

تُحب اكتشاف

جوهرها.

في هذا الوجود

قد يختلط الوعي

باللاوعي،

ويختلط مزمار الساحر

بقوس قُزح،

لكن من يفتح

قلبه وعقله

لانفجارات الحبّ

ولأغنية الحرّيّة،

سيتمتع بنشوة

الجمال المستيقظ،

وسينجو.

يا مولاي الحب،

علمني الشهيق والزفير

على طريقتك،

علمني

عزفك الموسيقي

المشبع بالأمل،

فأنا تلميذك

الجالس في ظل كلمة

زرعتها أنفاسك،

ورعتها طاقتك المتصفة

بالهدوء والعدل،

ها أنذا أنصت جيداً

لهمسة منك

تورقُ أفكاري.

أنا الكائن

الشغوف لرؤيتك

يا روح الجمال،

والعيش معك

في

مسكن واحد،

كلما اقتربتُ منكِ

ازداد عطشي

للغصن الناري،

لطائر العشق الذي

أحوى بشدوه،

وبفته،

ذنوبي وآثامي

كلها.

في كل وقت،

وفي كل مكان،

أحتاج أن أرى نفسي

في مرآتك،

فأنا لا شيء بدون

أن ترقص روحي

على ألحان السلام

والبهجة،

بدون

أن ينفذ

شدوك أيها الحبّ

في بئر قلبي

ليضيء مخلوقاته.

إن كنتَ تسمعني

فافتح صدركَ لي،

لأسلمَّ أمري

إليكَ،

فأنا تَوَّاقٌ إلى

فاكتهتك،

بعد هذه المسافة

التي قطعتها

لا أريد العودة

إلى غير صوتك الشجي

ونظرتك التي

تربطني بأغلال

الجمال والفرح.

من لا يسمعك

فهو حجر،

ومن لا يرى علامتك

التي وضعتها

في الفن،

فهو مجرد آلة،

هذا خيرك في روعي

يرسم صورة جليلة لك

وأنت تروي بساتين متقدمة،

ولا يقدر على ذلك

غيرك أيها الحب

الذي يرقص

في كل عين.

مَنْ يُثْرَثِرْ،

وَيُغْضِبْهُ هُبْ

الشمعة،

من يَخْجَلْ

من هواء الناي

ويُكْسِرُ الكلمات العذبة

بالصخور،

من يُغرق روحه

في وحل،

ليس جديراً،

أبدأ،

بمرافقة الحبِّ

في أسفاره.

ارتعشت أوصالي،

وصوت عظامي

وهي تتكسر

أجفلتِ الغيوم، وأبعدتها

عن رموش الشمس،

دمي تحوّل إلى عسل،

والقيثارة جعلت الراقصين

أخف من نسمة صبح،

آه،

لولا كلّ تلك العلامات

لما عرفتُ

يا مولاي الحبّ،

أنّني في محرابك

أصلّي.

الحبّ، الحرّيّة، العدل،

كلمات ليست غامضة،

وهي، أيضاً،

ليست مكشوفة الحجاب،

لها أنظمة لا تتحمّل الجهل،

تجعل الطيور تتكاثر

والمياه تمتص

عذوبة الألحان،

فمن يفتح

جسده وروحه

لمعنى واحد

من هذه الكلمات الثلاث

سيمتلى قلبه

بأنوار النجوم كلّها.

اسمعوا

أيّها النخاسون

يا من تبيعون وتشترون،

ولا تربحون غير

رميم الأموات،

قلبي مُثقل بالحبّ،

لا يمكن نقله

إلى السوق،

وروحى

موزونة بالعدالة،

أمّا عقلى الجميل

فلا يخدم سوى

بلاط الحرية.

كم أنتَ جميل، وعظيم،

أيّها العشق

الذي لا يهمل روحاً،

فلا حياة تزدهر

في هذه الأكوان

بدون صداحك،

أنتَ الأكسجين والماء

اللذان يحمران القلب

من غربته،

ورؤية وميضك

جعل عيني

بستانين من الورد.

أعرف لون السماء

ولون الغابات،

أعرف أسماء الناس

والزهور،

أعرف موقع القلب

الممتلئ بالضوء،

ولكن حين أجهل
السلّم الموسيقى الذي
يستخدمه الحب
في عزف بروقه الخاطفة،
فأنا جاهل كبير
بكل شيء.

أتدري كيف لامستُ الحقيقة؟

وجدتها تومض

في كبدي

مثل قمر ناضج،

وعرفت أن إيقاعاتها المطلقة

هي الحب، والجمال،

والحرية، والعدالة،

وحين مددت يدي،

رغم الألم،

وهبتني الأسئلة

صمتها العظيم

ونشوتها التي

تبرق.

هناك عقل،

هناك طاقة،

يمارسان الحب، معاً،

وكل كلمة جميلة

هي ابنة لهما،

فلا تبحثوا عنهما

وسط الأعشاب،

ولا في المعابد،

فإيجادهما عاريين

يحتاج إلى رياضة

لا يحتملها غير من

لا تتهدم روحه

بالغضاء

وموائدها.

يا طائر الأشواق

أنت لا تعرف

إن كنت داخل قفص

أو في فضاء غير مزور،

من حولك

عالم أسود وبارد

رغم وجود القمر والشمس

وسحابات من النجوم،

ورغم ألحانك الصباحية،

العش الذي تسكنه

في حالة فوضى، وخوف،

أيها الطائر

ألم تدرك، بعد،

أن كل ذلك يحدث

بسبب توقّف

ساعة الحبّ؟!

أقول لحبيبي الحبّ:

يصعب علي

عبور هذا الزمن

بدون موسيقاك،

كل ذرة في جسدي

محتاجة إلى صوتك

كي تستيقظ،

يا حبيبي

لا تغلق بابك،

فروحي لا ترغب

أن تمضي

ليلة واحدة

خارج أسوارك.

كلّما تعالت قشعبري

أدركت أنّي

اقتربت من همسك،

من أنفاسك الجميلة

نبتت روحي،

ومن اهتزازات أوتارك

توالد الجمال

في كل شيء،

حتى وأنا نائم

أسمع صمتك

يناديني،

استيقظ، استيقظ،

أنا الحرّية

معشوقة الحبّ.

استيقظ،

افتح نافذة روحك،

لترى حديقة يمتدّ جمالها

إلى نبض قلبك،

شاهد الحب والسعادة

يتجولان، ممسكان

بذراعي بعضهما،

أيّة زهرة نرجس عظيمة

ستختارها

أستاذة لك

كي تعلمك المشي حرّاً

في ممّرات

هذه السماء؟

تجعلنا نذوب
كالموسيقى المجنونة
في جوهرك،
تمنحنا النار والمطر
في ذات اللحظة،
أيعقل أن لا نعرفك
ولا نهتم بما تفعله بالأزهار
وبشعلة المصباح!؟

نتعلم منك،

ومن شجاعتك

كيف ننمو وسط النور،

ولا نجهد

أنك الحبّ

مهما يكن الظلام مفترساً.

جلست هنا

وفي يدي الناي،

وبأنفاسك الخضراء

عزفت لنا

لا بداية له،

ولا نهاية،

صوت النور

وصوت الحرية

اتحداً معاً في

عيون الجميع،

لا حاجة لي بعد الآن

للبحث عنك،

فالناي بين شفتي.

قلت للعشاق،

أية أغنية تريدون؟

فأجاب الجميع

بأنّ أغانيك

هي الأجل

في أي لهب، وأي ماء،

فصوتك

يمنحهم الحرية والتألق،

حتى ولو تورطوا

في ذهابهم إلى الفراغ

فأنت لا تقطع حبلك

عنهم،

بل تتحرك في خلاياهم

كنار لها طبول

الربيع.

أَيُّهَا الْفَتَى،

الْمَطَرُ خَفِيفٌ

وَالْقُلُوبُ مَهْيَأَةٌ

لِلْاِغْتِسَالِ

بِهِ،

بين مفتاح السلام

ومفتاح السعادة

وتر الحب مشدود،

فاضرب بريشتك

عليه

لتجد ما تبحث عنه

في دمك وعقلك.

البعض يقول:

النهار أجمل

من الليل

لأن الشمس فيه،

والبعض يقول:

الليل أكثر رقة

لأنه مكتنز

بالنجوم العذارى،

كلاهما مخطئان،

ألم يدركا أن

النهار والليل صوتان

متحدان مع بعضهما

في جسد واحد

هو الحب،

وهو الذي يضيئهما؟

أعرف ضوء الشمعة

وأعرف ضوء الشمس،

إنّما ضوءك

هو ما أريده

أن ينتشر

لتستطعمه البصيرة

والقلب الخالي

من الكراهية،

حين يغمر الحبّ

هذه الآفاق

فإنّ أرواح الكائنات

ستنتعق من فكرة الموت

وستعطي كل ما تملك

للجمال،

ولنشوة الغناء

العظيم.

البراعم تتفتح، بكثرة،

في الربيع،

والنجوم تضحك

في الربيع،

فيا قلبي، ويا روحي،

وأنت يا عقلي، معهما،

اشربوا من الحب

قدر ما تشتهون

ليكون الدهر، كله،

ربيعاً،

اخرجوا

وتمشوا

تحت أمطار

الموسيقى

والفن،

لتهزموا الموت

الجاهل.